الإشاريات التداولية وتجلياتها في التفسير

نماذج من سورة الأنفال

د. أحمد محمود زكريا توفيق
أستاذ مساعد، جامعة حران، تركيا
البريد الإلكتروني: Dr.ah.zak@gmail.com
معرف (أوركيد): 0000-0001-5900-2949

بحث أصيل الاستلام: ١-٤-٢٠٢١ القبول: ٢٥-٤-٢٠٢١ النشر: ٢٨-٤-٢٠٢١

الملخص:

يحاول هذا البحث الاستفادة من علوم اللسانيات الحديثة في دراسة الخطاب القرآني وتجلياتها في تفسيره وتأويله، وذلك من خلال تطبيق إحدى آليات التحليل التداولي على تفسير سورة الأنفال، حيث يقوم البحث بالوقف على نماذج من الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية والخطابية، ومحاولات تأويلها وتفسير مراجعها التي تحيل إليها، بالرجوع إلى مصادر التفسير المختلفة، وأثر ذلك على تحديد المعنى المراد أو ترجيحه.

الكلمات المفتاحية:

التفسير اللغوي، الإشاريات، التداولية، تحليل الخطاب، سورة الأنفال

للاستشهاد: توفيق، أحمد. (٢٠٢١). الإشاريات التداولية وتجلياتها في التفسير نماذج من سورة الأنفال. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٢، ع١. ٢٩-٨٣ https://www.daadjournal.com/

Atıf İçin / For Citation: TAWFIK, Ahmed. (2021). Edimbilimsel İşaretler ve Tefsirdeki Tezahürleri Enfal Suresinden Örnekler. Arap Dilbilimi ve Edebiyatı Dergisi – DÂD. Cilt/Volume 2, Sayı/Issue 3, 29-83. https://www.daadjournal.com/
.

Deixis and their Manifestations in the Interpretation of the Qur’an. Examples of Surah Al-Anfal

Dr. AHMED MAHMOUD ZAKARIA TAWFIK

Assistant Professor, Harran University, Turkey

E-mail: Dr.ah.zak@gmail.com

Orcid ID: 0000-0001-5900-2949

Research Article Received: 1.4.2021 Accepted: 25.4.2021 Published: 28.4.2021

Abstract:

This research tries to benefit from the modern science of linguistics in studying the Quranic discourse and its aprroaches to its interpretation. This is done by applying one of the mechanisms of pragmatic and discourse analysis on the interpretation of Surah Al-Anfal. The research extrapolates the places of personal, temporal, spatial, social and discourse deixis and attempts to interpret them and their references to which they refer. This is done by referring to the various sources of the interpetation of the Quran and the effect of this on determining the intended meaning and its preference.

Keywords:

Linguistic interpretation, Deixis, Pragmatics, discourse analysis, Surah Al-Anfal

Edimbilimsel İşaretler ve Tefsirdeki Tezahürleri
Enfal Suresinden Örnekler

Dr. Öğre. Üyesi Ahmed Mahmoud Zakaria TAWFIK

Harran Üniversitesi, Türkiye

E-Posta: Dr.ah.zak@gmail.com

Orcid ID: 0000-0001-5900-2949

Araştirma Makalesi Geliş: 01.04. 2021 Kabul: 25.04.2021 yayın: 28.04.2021

Özet:

Bu araştırma, Kuranî hitabın incelenmesinde modern dilbilimden ve onun tefsir ve tevildeki tezahürlerinden yararlanmaya çalışmaktadır. Bu da edimbilim yönteminin bir mekanizmasının Enfal Suresine uygulanmasıyla gerçekleşecektir. Araştırma kişisel, zamansal, mekansal, sosyal ve söylemsel gösterge örneklerine dayanmakta ve bunları çeşitli tefsir kaynaklarına göre tevil etmeye ve işaret ettiği kaynakları açıklamaya çalışmaktadır. Son olarak bunun murad edilen anlamı belirleme üzerindeki etkisi ortaya konulacaktır.

Anahtar Kelimeler:

Dilbilimsel Tefsir, İşaretler, Edimbilim, Hitab Analizi, Enfal Suresi

تقديم:

يبقى الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم أبرز الأدلة على أنه كلام الله تعالى، فرغم أنه جاء بلسان عربي مبين، إلا أنه أعجز فحول بلغاء العرب وفصحائهم، بفضل نظمه الفريد وأسلوبه المعجز. وقد أقبل العلماء المسلمون وغيرهم من كل حدب وصوب على مأدبة القرآن، يبحثون أسراره التي لا تنفد، ويتأملون في عجائبه التي لا تنقضي.

ضمن هذا الإطار يحاول البحث تطبيق إحدى آليات البحث اللساني الحديث، في دراسة النص القرآني، بغية الوصول إلى أثر ذلك على عملية تأويله وتفسيره؛ حيث يتتبع مواضع التعابير التأشيرية، باعتبارها مبحثًا من مباحث علم اللغة التداولي، ذلك العلم الذي يدرس أثر السياق والاستعمال على فهم اللغة، وتحديد مراجعها، آخذًا في الاعتبار مقاصد المتكلم وأحوال المخاطب.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المقالة مبحثين اثنين: الأول نظري يتناول توطئة لنشأة المنهج التداولي، وتعريفًا لمفهوم الإشاريات، وأنواعها، وكيفية تمثلها. والثاني تطبيقي يتناول التعريف بسورة الأنفال، وسياق نزولها، ثم تحليل لمواضع الإشاريات الواردة بها كعينة مختارة من النص القرآني. وأعقب ذلك كله خاتمة تضمنت خلاصة الدراسة وأهم نتائجها.

١- المبحث النظري:

لا شك أن علم العلامات (السميوطيقا)، هو ثمرة الدراسات اللغوية الحديثة، ونتاج لجهود لغويين غربيين، إلا أن هذا لا يعني خلو التراث العربي من تناولٍ لبعض مسائله وقضاياه، فقد كان لدراسة المعنى حضور واضح في أعمال اللغويين والبلاغيين

العرب، وكذا لدى الفلاسفة والأصوليين وعلماء الكلام، بدءًا من التصنيف في "غريب القرآن ومجازه"، و"الوجوه النظائر"، "والعام والخاص"، و"المطلق والمقيد"، ومرورًا بجهود الجاحظ (ت. ٢٥٥هـ) الدلالية؛ الذي كان ملهمًا في تصنيفه لأنواع العلامات، بحيث جعلها تشمل كافة أساليب التعبير والبيان اللغوية وغير اللغوية، فقال: "وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ لَفْظٍ وَغَيْرِ لَفْظٍ، خَمْسَةُ أَشْيَاء لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ: أَوَّلُهَا اللَّفْظُ، ثُمَّ الْإِشَارَةُ، ثُمَّ الْعَقْدُ، ثُمَّ الْخَطُّ، ثُمَ الْحَالُ الَّتِي تُسَمَّى نُصْبَة... وأَمَّا النُّصْبَةُ فَهِي الْحَالُ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ اللَّفْظِ وَالْمُشِيرَةُ بِغَيْرِ الْيَدِ. وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي كُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ"(١)، ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى "الاشتقاق الأكبر" لدى ابن جني (ت. ٣٩٢هـ)، وابن فارس (ت. ٣٩٥هـ)، حيث تلتقي المعاني الفرعية على معنى عام يجمعها في كل تقلباتها. أما عن تلاقي معاني الألفاظ وتناسق دلالتها أو ما عُرِف بـ"نظرية النظم" عند الجرجاني (ت.٤٧١هـ)، فكانت خطوة كبيرة في مجال الدرس السياقي وأثره على المعنى. ولا يمكن إغفال صنيع الزمخشري (ت.٥٣٨هـ)، في "أساس البلاغة"، حيث التفرقة بين الدلالة الحقيقية والمجازية للألفاظ. وهكذا تتواصل الاجتهادات حتى نصل إلى ما قدمه حازم القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) من أفكار ورؤى سبقت عصره حول ماهيات المعاني وحقائقها وطرق اجتلابها وكيفيات التئامها وبناء بعضها على بعض، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها...(٢) وآخرون غيرهم لا يتسع المقام لذكرهم.

وفي منتصف القرن العشرين حاول الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (Charles Morris ١٩٠١/١٩٧٩) تطوير أفكار سابقيه حول علم العلامات، ومنهم تشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders Peirce) (١٨٣٩/١٩١٤)، الذي كان ينظر إلى

(١) البيان والتبيين: ٨٢/١، ٨٦

(٢) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩- ١١

الدراسة السيميائية باعتبارها منهجًا عامًّا يمكِّن الاستناد إليه من تفسير كل الظواهر، ويشمل الموضوعات كافة بالدرس والتحليل، فكانت بالنسبة له اسمًا آخر للمنطق؛[1] حيث ذهب إلى أن الفكر والعلامة غير منفصلين، بل إن الفكر في حد ذاته يعد علامة يمكن أن يؤولها الآخر.[2] وكان أبرز ما صنعه موريس هو تمييزه بين ثلاثة اتجاهات سيموطيقية، يتناول الاتجاه الأول منها الجانب التركيبي (Syntax) للعلامات، فيدرس العلاقات الشكلية بين الدوال أو الرموز بعضها البعض. في حين يتناول الاتجاه الثاني الجانب الدلالي (Semantics) للعلامات، فيدرس العلاقة بين الدوال اللغوية أو الرمزية ومدلولاتها. أما الاتجاه الثالث فيتناول الجانب التداولي (Pragmatics) للعلامات، حيث يدرس أثر الاستعمال والتداول اللغوي في دلالة العلامات لدى المتكلم والمخاطب.[3] وهو الجانب الذي يؤكد لنا أن الكفاءة اللغوية وحدها ليست كافية للوصول إلى المعنى المراد؛ فإعراب نص ما، ومعرفة مفرداته كاملة، وإدراك المعنى الحرفي له، قد لا يفيد المتلقي، إذا افتقر إلى الكفاءة التداولية، ونعني بها القدرة على فهم الدور الذي تقوم به العناصر غير اللغوية في استعمال اللغة، وأثرها في إنتاج المعنى أو تأويله.

ولما كان البحث التداولي معنيًّا بالوصول إلى المعنى الذي يروم المتكلم إبلاغه إلى مخاطب محدد، ضمن سياق معين، نجده يهتم ابتداء بقراءة النص المنطوق، والكشف عن سياقه، وزمانه، ومكانه، ومقامه، واستنطاق دلالته الأولى، ثم يعقب ذلك التعرف إلى مرسل الخطاب عن قرب، فيكشف لنا عن هويته، ومقصده من عملية التواصل، يلي ذلك التعرف إلى المتلقي، والكشف عن هويته أيضًا والعلاقة التي تجمعه

---

(١) السيميائيات أو نظرية العلامات: ٥٠

(٢) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٣٩

(٣)التداولية اليوم. علم جديد في التواصل: ٢٩

بالمرسل، وأثر ذلك وغيره في تأكيد الدلالة الأولى للنص المنطوق أو استبدال أخرى بها.

وعلى هذا تُعَدُّ الإشاريات (Deixis) واحدة من المباحث التي يقوم عليها الدرس التداولي، فهي من العلامات التي لا تتحدد دلالتها إلا بالتداول، فضلاً عن وظائفها النحوية والدلالية داخل التركيب؛ حيث تؤدي دورًا مهمًّا في تكوين بنية الخطاب، وتحقيق التماسك بين أجزائه، فلا يمكن صناعة نص أو إنتاج خطاب بدونها، وبالتالي لا يمكن فهمه أو تفسيره إلا بالكشف عن دلالاتها، التي بدورها لا ينجلي إبهامها، ولا يُعْلَمُ مَرْجِعُهَا، إلا من خلال تدقيق السياق الذي وردت ضمنه، ولا يكون العمل التواصلي فعالاً، إذا عجز المخاطب عن إدراك غرض المتكلم، والمراجع التي تحيل إليها تلك الإشاريات؛ فالفعل اللغوي لا يكون ناجحًا إلا "إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يُشَكِّل المخاطب هذه المعرفة".[(١)]

وفيما يلي بيان لمفهوم الإشاريات، وأنواعها، وكيفية تمثلها في الخطاب.

أولا: مفهوم الإشاريات (Deixis):

الإشاريات لغةً: من قولهم: أشارَ الرَّجل يُشيرُ إِشَارَة، إِذا أَوْمئ بيدَيْهِ[(٢)]، قال ابن فارس: الشِّينُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ مُطَّرِدَانِ، الْأَوَّلُ مِنْهُمَا إِبْدَاءُ شَيْءٍ وَإِظْهَارُهُ

(١) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٦٦

(٢) تهذيب اللغة: ٢٧٧/١١

وَعَرْضُهُ.[١] والإشاريات جمع "إشارية" وهي اسم مؤنَّث منسوب إلى لفظة "إشارة"، أو مصدر صناعي منها.

وهي الترجمة العربية الأكثر شيوعًا للكلمة الإنجليزية (Deixis)، وهي بدورها، من حيث اللغة، مشتقة من اللفظة اليونانية (deiknunai) التي تعني الإظهار والعرض.[٢]

الإشاريات اصطلاحًا: الإشاريات اصطلاح تقني، تعارف عليه علماء اللسانيات، ويعنون بها ألفاظا "دالة على عناصر غائبة حاضرة"[٣]، وقيل: هي الإشارة بواسطة اللغة، ويطلقونه على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة، كما يطلقون عليها أيضًا مصطلح "التعبير التأشيري" [٤]، وقد عرفها بعضهم بأنها "العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ، والذي يرتبط به معناه".[٥] وقد استعمل آخرون مصطلح "المعينات" للدلالة على المفهوم نفسه، وقد بدا ذلك حين ذكروا أنها "مجموعة من المرجعيات الإحالية المبنية على شروط التلفظ الخاصة وظروفه كهوية المتكلم ومكان التلفظ وزمانه (أنا، الآن، هنا)".[٦] وهكذا فإن ما يميز هذه الإشاريات أو المعينات أن مراجعها تختلف بحسب ظروف استعمالها، ووفق ملفوظها داخل السياق.[٧] ومن أمثلتها أسماء الإشارة، والضمائر، وظروف الزمان، وظروف المكان، والصيغ الانفعالية كالنداء والتعجب،

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢٢٦/٣

(2) https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/deixis

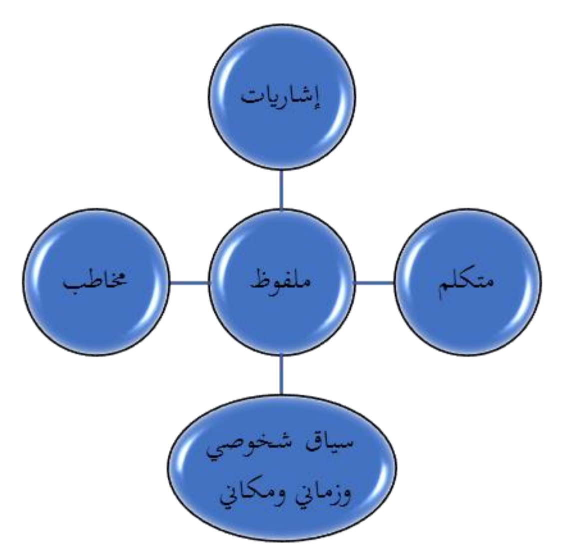
(٣) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٧

(٤) التداولية: ٢٧

(٥) نسيج النص – بحث في ما يكون به الملفوظ نصا: ١١٦

(٦) من أجل مقاربة قرائنية لديوان (غنج المجاز): ٢

(٧) المقاربة التداولية: ٤١



وأسماء القرابة. وذلك لأنها لا تحمل المعنى في ذاتها، وإنما تكتسبه بالاستعمال والتداول في سياق ما. وعليه فإنه يمكننا تعريف الإشاريات بأنها العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي.(١)

ثانيًا: أنواع الإشاريات (Deixis):

لما كانت الإشاريات من المبهمات التي تشير مراجعها إلى مكونات عملية التواصل (المرسل، المتلقي، زمن التواصل، ومكانه، ... ونحوها) استدعى ذلك تقسيمها إلى خمسة أنواع:

- الإشاريات التواصلية الذاتية أو الشخصية (Personal Deixis):

ونعني بها العلامات اللغوية التي تستخدم للإشارة إلى شخص الذات المتكلمة أو المرسلة وكذا إلى شخص الذات المخاطبة أو المرسلة، وتتمثل في الضمائر الشخصية، الدالة على المتكلم المفرد والمثني والجمع (أنا، نحن) بصوره المتصلة والمنفصلة،

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٨٠، ٨١

وكذا الدالة على المخاطب المفرد والمثنى والجمع (أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن) بصوره المتصلة والمنفصلة. ويطلق عليها ضمائر الحاضر، لأنها تشير إلى حضور الذات المتكلمة والمخاطبة أثناء عملية التواصل. وأما ضمير الغائب "فلا يدخل في الإشاريات إلا إذا كان حرًّا؛ أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي".(1) وحينئذ يأتي دور السياق التداولي لتعيين المراجع التي تحيل إليها هذه الضمائر.

ويعد النداء (Vocative) عنصرًا إشاريًّا شخصيًّا أيضًا، فما هو إلا ضميمة اسمية تشير إلى المخاطب بهدف تنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، وبالتالي لا يمكن فهمه إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه في الخطاب.

- الإشاريات السياقية الزمانية (Temporal Deixis):

ويراد بها العناصر الإشارية التي تدل على زمان ما، ولا يمكن تعيينه على وجه الدقة إلا بواسطة السياق، بالقياس إلى زمان التكلم الذي هو مركز الإشارة الزمانية في القول. فهي "كلمات دالة على الزمان المحدد بالسياق قياسًا إلى زمن التكلم".(2) ويتمثل هذا النوع من الإشاريات في ظروف الزمان، نحو (الآن، صباحًا، أمس) أو أسماء الزمان (موعد الرحيل)، أو الصيغ الزمانية المجردة نحو (زمن الحصاد- وقت العودة). وهكذا فإن "لحظة الحديث تبقى المحور الذي ترتبط من خلاله هذه المبهمات، وتتحدد مواقعها عن طريق مقولة البعد والقبل".(3)

(1) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٧

(2) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٧

(3) لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب:١٨١

وقد لوحظ أن ثمة تعبيرات يضيف إليها الاستعمال بُعْدًا زمنيًا لا يفارقها كقول أحدهم: صباح الخير. التي لا يمكن استعمالها أو تداولها إلا في زمن الصباح، وإن أي تجاوز لهذا الاستعمال لا يمكن قبوله من الجماعة اللغوية التي تعارفت عليه، إلا إذا ورد في سياق مجازي لغرض ما أراده المتكلم وفهمه المخاطب.

- الإشاريات المكانية (Spatial Deixis):

ويراد بها العناصر الإشارية التي تدل على مكان ما، يحدده السياق، بالقياس إلى المكان الذي يتموقع فيه كل من المتكلم والمخاطب وتتم في إطاره عملية التواصل. ويتمثل هذا النوع من الإشاريات في ظروف المكان، نحو (هنا، هناك، فوق - تحت - أمام - وراء - حيث - دون...) وأسماء المكان (المسجد، مهبط الوحي، موطن الحيوانات)، أو الصيغ المكانية المجردة نحو قولهم: (ساحة حرب).

ولا ريب أن هذه الإشاريات المكانية لا يمكن تفسيرها إلا بعد التعرف على مكان المتكلم لحظة التلفظ أو إنتاج الكلام، وربما نحتاج إلى التعرف على مكان آخر يعلمه كلٌّ من المتكلم والمخاطب، حيث يمكننا تحديد تلك الإشاريات قربًا وبعدًا واتجاهًا.

- الإشاريات الاجتماعية (Social Deixis):

ويراد بها العناصر الإشارية التي تدل على علاقة اجتماعية ما بين أطراف الخطاب، "من حيث هي علاقة ألفة أو علاقة رسمية"[١]، كما أنها قد توضح المكانة أو الموقع الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب. وقد تتمثل هذه التعابير التأشيرية في طريقة استعمال الضمائر أو في استخدام صيغ التعظيم والتبجيل أو التحقير والتقليل، كما تبدو الإشاريات الاجتماعية في أسلوب النداء، وتبادل التهاني والتحيات،

(١) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٧

وكذلك في استعمال ألفاظ تتفاوت في درجة الرقي أو الابتذال تبعا للبيئة التي ينتمي إليها كل طرف.

وجدير بالذكر أن وجود هذه الإشاريات يؤكد على البعد الاجتماعي في اللغة نفسها، فمن خلال هذا التواصل اللغوي تتشكل العلاقات الاجتماعية وتتحدد؛ حيث إن "القيم الدلالية للخطاب هي مدخل ممكن وهام لتحديد شبكة العلاقات الاجتماعية؛ لأن التعامل مع اللغة تعامل مع مضامينها".[١]

- الإشاريات الخطابية (Discourse Deixis):

ويراد بها العناصر الإشارية التي تشير إلى خطاب ما، مع الانتباه إلى أنها "لا تحيل إلى ذات المرجع الذي تحيل إليه الإحالات الضميرية".[٢] وقد تكشف عن موقف المتكلم من هذا الخطاب، وتتمثل تلك الإشاريات في عبارات من قبيل "ومهما يكن من أمر، على أية حال، ولكن، بل، بالإضافة إلى، فضلا عن". وعادة ما تُستعمل لأغراض الترجيح أو التضعيف أو الاستدراك أو الإضافة والاسترسال، كما أنها تُسهم في تماسك النص وترابط أحداثه ووقائعه على اختلافها.

والواضح أنها تعتمد كذلك على السياق لتحديد مراجعها التي تحيل إليها، بالإضافة إلى "قدرة المرسل التواصلية في ربط الأحداث البعيدة والقريبة؛ ليسهل على المرسل إليه فهم قصده من خلال ما يملكه من كفاءة لغوية في تحليل الخطاب".[٣]

(١) البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية: ١٤٢

(٢) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٧

(٣) الإشاريات الخطابية الاجتماعية. قراءة في مصنفات الزّجّاج: ٣٤١

٢- المبحث التطبيقي:

التعريف بسورة الأنفال: هي السورة الثامنة بحسب الرسم القرآني، وهي مع سورة التوبة تُعَدَّان السورة السابعة من قسم الطوال، وآياتها خمس وسبعون، وهي مدنية.[١]

المحاور **الرئيسة للسورة الكريمة:** اشتملت السورة الكريمة على تنظيم لقواعد السّلم والحرب بالنّسبة للمسلمين، وسرد أحداث معركة بدر الكبرى، ثمّ بيان إحباط مكائد المشركين ومؤامراتهم على قتل النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم أو حبسه أو إخراجه من مكّة.[٢]

تفسير الإشاريات التداولية في السورة الكريمة

أولاً: الإشاريات الشخصية:

١- ضمائر المتكلم:

١- المنفصلة:

١- أنا

في قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ﴾ [الأَنْفَالِ: ١٢]؛ حيث اشتملت الآية الكريمة على ضمير مستتر وجوبًا مع الفعل المضارع "ألقي"، تقديره الضمير المنفصل "أنا"، في إشارة تعود إلى الله ﷻ. وَقَدْ دَلَّ إسنادُ إِلْقَاءَ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ على "أَنَّهُ رُعْبٌ شَدِيدٌ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ خَارِقَةٍ

(١) الأساس في التفسير: ٢١٠٣/٤

(٢) ينظر: تفسير المنار: ١٠٥/١٠: ١٣٠، والتحرير والتنوير: ٢٤٧/٩، والتفسير الوسيط لطنطاوي: ٩/٦-١٥

لِلْعَادَةِ...كَمَا قَصَدَ تَشْرِيفَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ إِلْقَاءَ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ يَعُودُ بِالْفَائِدَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ مُبَارَكٌ أَيْضًا".(١)

أما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ﴾ [الأَنْفَالِ: ٤٨]، فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير مستتر وجوبًا مع الفعلين المضارعين "أرى"، و"أخاف" تقديره الضمير المنفصل "أنا"، في إشارة تعود إلى الشيطان.(٢)

ويمكن ـ بجلاء ـ ملاحظة الفرق بين "الأنا" في كلتا الآيتين، اللتين رغم تباعدهما تلاوة يجمعهما سياق زماني ومكاني واحد (يوم بدر)؛ فـ "الأنا" الأولى تشير إلى ذات الله القاهرة، التي تظهر قدرته على خلقه، وكمال سلطانه وقوته ﷻ، والثانية تشير إلى ذات الشيطان المقهورة، التي تظهر خذلانه لأتباعه وتخليه عنهم عند نزول العذاب والبلاء.

٢- نحن:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾ [الأَنْفَالِ: ١٩]، اشتملت الآية الكريمة على ضمير مستتر وجوبا مع الفعل المضارع "نَعُدْ"، تقديره الضمير المنفصل "نحن"، في إشارة تعود إلى الله ﷻ. حيث "يقول الحق جلّ جلاله لكفار مكة... وَإِنْ تَعُودُوا لمحاربة النبي ﷺ نَعُدْ لنصره".(٣)

ويُلاحَظ أنه عادة ما يفسر استعمال القرآن لصيغ الجمع مع الله الواحد الأحد، بأنه ورد على سبيل التعظيم، إلا أننا في هذا المثال قد نلحظ بُعْدًا دلاليًا آخر، وهو أن

(١) التحرير والتنوير: ٢٨٢/٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٢٣،٢٢٤/١١

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٣١٥/٢

ضمير "نحن" المستتر في الفعل "نَعُدْ" يشير إلى فريق واحد يجمع بين الله وأوليائه من المؤمنين، فالنصر والمدد من عنده، والسعي والجهاد والتنكيل بالكفار بأيديهم. ولا يخفى ما فيه من تشريف للمؤمنين.

أما في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءِ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأَنْفَالِ: ٣١]، فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير مستتر وجوبًا مع الفعل المضارع "نشاء"، تقديره الضمير المنفصل "نحن"، في إشارة تعود إلى الكافرين. وقيل في تأويله: "هَذَا قَول النَّضر بن الْحَارِث بن كلدة، وَكَانَ قد خرج إِلَى الْحيرَة من أَرض الْعرَاق وَاشْترى أَخْبَار رستم، واسفنديار،[1] وَأَحَادِيث الْعَجم، وَجَاء بهَا إِلَى مَكَّة. وَقَالَ: لَو شِئْت لَقلت مثل الْقُرْآن".[2] ودلَّ ذلك إما على حالة الغرور التي انتابت النَّضر بن الْحَارِث، فتحدث عن نفسه بصيغة الجمع، وإما أنه كان متحديًّا باسم جماعته، لذا جاء بصيغة جماعة المتكلمين.

ويلاحظ أن العنصر الإشاري نفسه ورد في أسلوب شرطي بموضعين مختلفين، ورغم أن فاعل جواب الشرط جاء مغايرا لفعل الشرط في الموضع الأول، فإنه كان أجدر على التحقق من الموضع الثاني الذي كان فيه فاعل الجواب والشرط واحدًا؛ ذلك أنهم عادوا إلى كفرهم وإلى قتال المؤمنين، وجاءوا في يوم أحد فَقُتِلَ منهم سبعون في أول المعركة، وهزموا شر هزيمة، وكانت عاقبة الأمر للمؤمنين في الابتداء

(١) إسفنديار بن كشتاسب الكياني، كان أبوه من ملوك العجم، في الطبقة الكيانية وكان قد أرسل ابنه هذا إلى قتال أرجاسف ملك الترك، فقاتل ببلخ فانهزم أرجاسف وقتل في المعركة، ولما عاد طلب من أبيه أن يجعله ولي عهده فأجاب إلى سئوله بشرط الغلبة على رستم فجهزه إلى زاولستان وتحارب مع رستم ولما علم أن لا محيص عنه أهلكه بالحيلة ونجا منه كما هو مشهور في كتب ملوك الفرس، سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ٣٠٠/١

(٢) تفسير القرآن: ٢٦٠،٢٦١/٢

ولم تكن النكبة والهزيمة على المؤمنين إلا لعصيان كان منهم،[1] في الوقت الذي "دُعوا فيه بأن يَأتوا بِسُورَةٍ واحِدَةٍ من مثل القرآن فلم يَأْتُوا".[2]

٢- المتصلة:

١- ياء المتكلم:

ويتمثل ذلك في:

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ [الأَنْفَالِ: ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأَنْفَالِ: ١٢]؛ حيث اشتملت الآيتان الكريمتان على ضمير متصل بالحرف الناسخ "أنَّ"، وهو "ياء المتكلم"، في إشارة يعود مرجعها إلى الله ﷻ. وقد حمل الضمير معه كل معاني العلو والقوة من المتكلم في رسالة كان لها أبلغ الأثر في نفوس المتلقين لها؛ إذ منحتهم الاطمئنان من جهة والثقة في تحقق النصر من جهة أخرى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ﴾ [الأَنْفَالِ: ٤٨]؛ فقد اشتملت الآية على ضمير متصل بالحرف الناسخ "إنَّ"، وهو "ياء المتكلم"، في إشارة يعود مرجعها إلى الشيطان.

وبمراجعة السياقات التي ورد فيها العنصر الإشاري، ندرك أوجه التشابه والاختلاف، التي تظهر في ثنائية تقابلية بين وعد الله/ الحق، ووعد الشيطان/ الباطل؛ فالذات المتكلمة التي تحيل إلى الله ﷻ تتجلى في الموضع الأول وهي تعد المؤمنين

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ١٧٤/٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٤١١/٢

بإرسال المدد والعون، ولا يتكرر ظهورها إلا بعد أن تحقق هذا الوعد بنزول الملائكة إلى أرض المعركة، وفي المقابل فإن الذات المتكلمة التي تحيل إلى الشيطان، وهو يعد الكفار بالإجارة والنصرة، لا يتكرر ظهورها إلا مع إخلاف الوعد، ونكوصه هاربًا ذليلاً خازيًا.

٢- نا المتكلمين:

ويتمثل ذلك في نحو قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأَنْفَالِ: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾[الأَنْفَالِ: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأَنْفَالِ: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾[الأَنْفَالِ: ٥٤]؛ حيث اشتملت الآيات الكريمة على ضمير متصل بالأفعال الماضية، "رزق"، و"أنزل"، و"أهلك"، و"أغرق" وهو "نا الفاعلين"، في إشارة يعود مرجعها إلى الله ﷻ. وقد أخْبر تعالى عن نفسه بهذه الصيغةِ وشِبْهِها للتعظيمِ في غيرِ موضعٍ من كتابِه الكريم.[١] وهو لفظ تعرفه العَرَبُ للجليل الشأن يخبر عن نفسه بما يخبر به الجماعةُ.[٢] وفيه إشارة إلى تعظيم وتهويل ما أسند إليه أيضًا، فعطاء العظيم عظيم، كما أن عذابه شديد.

وأما في نحو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأَنْفَالِ: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٢]؛ فقد اشتملت الآيات الكريمة على ضمير متصل وهو "نا الفاعلين"، في إشارة يعود مرجعها إلى جماعة الكافرين، ويلاحظ أن القول في الموضعين ورد في سبب نزوله منسوبًا إلى

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣٦٦/٨

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢٢/٤

النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ[1]، ورغم ذلك جاء الخطاب بصيغة الجمع، وما هذا إلا لأنه كان متحدثا باسم جماعته، ممثلا لهم، وهكذا لما كانت جرأتهم على المعصية والكفر بلسان واحد، كانت سخريتهم من العذاب الموعود بلسان واحد، فدلّ استعمال العنصر الإشاري على أنهم في الكفر ملة واحدة، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا.

٢- ضمائر المخاطب:

١- المنفصلة:

١- أَنْتَ:

ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٣]؛ حيث اشتملت الآية الكريمة على الضمير "أنت" وهو منفصل في محل رفع للدلالة على المفرد المخاطب، في إشارة تعود إلى النبي محمد ﷺ[2]، ويحتمل وجهين: أحدهما: أنه قال ذلك إكرامًا لنبيه وتعظيمًا لقدره أن يعذب قومًا هو بينهم؛ تعظيمًا لحرمته. والثاني: إرساله فيهم رحمة لهم ونعمة عليهم فلم يجز أن يعذبهم وهو فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بإخراجه عنهم.[3]

وأما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأَنْفَالِ: ٥٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأَنْفَالِ: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأَنْفَالِ: ٦١]؛ فقد اشتملت الآيات الكريمة على ضمير مستتر وجوبًا مع الأفعال المضارعة "تثقف"،

---

(١) تفسير مجاهد: ٣٥٤

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٤٣٩/١

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون: ٣١٣/٢، ٣١٤

و"تخاف"، وأفعال الأمر "شَرِّدْ"، و"انبِذْ"، و"اجْنَحْ"، و"تَوَكَّلْ"، و"حَرِّضْ" تقديره الضمير المنفصل "أنت"، في إشارة تعود إلى النبي محمد ﷺ.

وقد لوحظ أن تكرار الخطاب للنبي ﷺ يأتي بعد ذكر صفات هؤلاء اليهود الذين نقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، بغرض بيان طريقة تعامل المسلمين معهم، وبالتالي فهو يصلح لأن يكون خطابًا عامًا، وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان المقصود جميع الأمة.(١)

أما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى﴾[الأَنْفَالِ: ٧٠]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير مستتر وجوبًا مع الفعل الأمر "قل"، تقديره الضمير المنفصل "أنت"، في إشارة تعود إلى النبي محمد ﷺ. "ولتصدير الآية بعبارة "قل" مغزى لطيف يفهمه العربي بالسليقة، وهو توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وتعليمه ما ينبغي أن يقول، فهو لا ينطق عن هواه، بل يتبع ما يوحى إليه".(٢)

٢- أنتم:

أما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأَنْفَالِ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾[الأَنْفَالِ: ٤٢]؛ فإن مرجع الضمير في الخطاب يعود للنبي وللمهاجرين؛ بغرض تذكيرهم بنعمة الله عليهم؛ حيث

(١) التفسير المظهري: ٢ق٢/٢١٩

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٣٠

آواهم في المدينة ونصرهم ببدر. وقيل: للعرب كافة؛ فإنهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم.(١)

وبمراجعة السياقات التي ورد فيها العنصر الإشاري "أنتم" يلاحظ أن النصح والإرشاد أو بيان النعمة طابعها العام، ما يعني أن استعمال ضمير الخطاب كان في موضعه؛ لما يحمله من معاني القرب والشفقة بين الناصح والمنصوح، أو بين المُنْعِمِ والمُنْعَمِ عليه. وتتضح تلك الدلالة أكثر عند المقابلة بين ضمير المخاطب والغائب كما في المثال الثاني.

٢- المتصلة:

١- تاء الخطاب:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[الأَنْفَالِ: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأَنْفَالِ: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأَنْفَالِ: ٦٣]؛ اشتملت الآيات الكريمة على ضمير متصل بالأفعال "رميت"، و"عاهدت"، أنفقت"، و"ألفت" وهو "تاء الخطاب"، في إشارة يعود مرجعها إلى النبي ﷺ.(٢)

وبمراجعة السياقات التي ورد بها العنصر الإشاري، نلاحظ أن استعمال القرآن للفعل فيها كان ذا دلالة، فرغم إسناده الفعلَ إلى المخاطب حقيقة أو مجازًا، يسلبه منه، فدل على أن المخاطب في الحقيقة ليس له من الأمر شيء، فقد رمى ولكنه ما رمى، وقد عاهد لكنهم نقضوا، ولو أنفق فإنه ما ألف!

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥٦/٣

(٢) تفسير القرآن العزيز: ١٧١/٢

أما في نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[الأَنْفَالِ: ٦٨]؛ فاشتملت الآية الكريمة على ضمير متصل بالفعل "أخذ"، وهو "تاء الخطاب"، متبوعا بوحدة صرفية دالة على جماعة المخاطبين، محيلا على جماعة المسلمين، من صحابة رسول الله[1]، وفي سياق الخطاب لهم إشعار بالقرب من رحمة الله وعنايته بهم.

وأما في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٥]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على العنصر الإشاري نفسه، لكنه مرجعه هذه المرة يعود إلى جماعة الكفار. ولوحظت المفارقة بين حال المخاطبين، فالأول مؤمن حيل بينه وبين العذاب، والآخر كافر لحقه العذاب. وهكذا "فالكفر والمعصية سبب للوقوع في العذاب والتوبة والاستغفار وسيلة الى فيض الرحمة من الوهاب".[2]

٢- كاف الخطاب

في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٢]؛ اشتملت الآية الكريمة على ضمير متصل بالاسم "عند" وهو "كاف الخطاب"، في إشارة يعود مرجعها إلى الله ﷻ، حيث جاءت في سياق الدعاء، وَالْمُخَاطَبُ هو الله.[3] وفي استعمال الضمير مضافا إلى "عند"، إشارة إلى حالة التشكيك والطعن في القرآن لدى الكافرين؛ فقد كانوا ينكرون أنه منزل من عند الله.

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٧٦/١١

(٢) روح البيان: ٣٤٣/٣

(٣) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٦٤٢/١

وفي نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ١٣]؛ فقد جاء الْخِطَابُ هُنَا لِلنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتَّنْوِيهِ بِقَدْرِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربه، كما دلَّ على أن الله تعالى فَعَلَ ذَلِكَ لُطْفًا بِهِ وَرَفْعًا لِشَأْنِهِ.(١)

أما في نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأَنْفَالِ: ٦٤]؛ فقد قيل: إن ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلّم يخاطب به ورثته الكرام، من الاكتفاء بالله وعدم الالتفات إلى ما سواه، وتصحيح عقد التوحيد، والاعتماد على الكريم المجيد.(٢)

وأما في نحو قوله تعالى: ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأَنْفَالِ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾[الأَنْفَالِ: ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٩]، فقد اشتملت الآيات الكريمة على ضمير متصل، وهو "كاف الخطاب" للدلالة على جماعة المخاطبين، في إشارة يعود مرجعها إلى جماعة المؤمنين من صحابة رسول الله. وإلى هذا ذهبت التفاسير المختلفة.(٣)

وقد دلَّ الإسناد إلى ضمائر الخطاب على أنه خطاب مخصوص لفئة مخصوصة بنعم مخصوصة، وفي ذلك إِشْعَارٌ بتَقْرِيبِ اللهِ لَهُمْ، وَتَنْبِيهٌ إلى رِضَاهِ عَنْهُمْ وَمَحَبَّتِهِ، وَعِنَايَته بِهِمْ. وتبدو تلك الدلالة واضحة في قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأَنْفَالِ: ٩]، حيث نلاحظ إيماءً إلى أَنَّهُ يَرُبُّهُم وَيَرْأَفُ بِهِم.

---

(١) التحرير والتنوير: ٦٤٢/١

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٣٤٦/٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٥/١١

وأما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[الأَنْفَالِ: ١٢]، فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير متصل بالحرف، وهو كاف الخطاب، للدلالة على جماعة المخاطبين، في إشارة يعود مرجعها إلى الملائكة؛ إذ هم المختصون بالخطاب. وفي إسناد العنصر الإشاري إلى معية الله دلالة التشريف والتكريم للملائكة. وتجدر الإشارة إلى أن المعية هنا مجازية، بمعنى مباركة عمل الملائكة وتيسيره لهم.

أما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ... وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾ [الأَنْفَالِ: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾[الأَنْفَالِ: ١٤]؛ فقد اشتملت الآيات الكريمة على ضمير متصل، وهو كاف الخطاب، للدلالة على جماعة المخاطبين، في إشارة يعود مرجعها إلى جماعة الكفار. وقد ذهبت التفاسير إلى ذلك.[(١)]

وقد لوحظ أن اختصاص الله رسولَه والمؤمنين بالخطاب هو الغالب في استعمال القرآن، ولا يخفى ما فيه من تكريمهم بِشَرَفِ الحُضُورِ لِمَقَامِ التَّكَلُّمِ مَعَ الْخَالِقِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. في المقابل ورد الخطاب القرآني للكافرين داخل السورة بغرض الترهيب والتخويف بالعقوبة، كما ورد حكاية عن إجارة الشيطان لأتباعه، وهو غاية الذم والتوبيخ لهم.

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري: ٦٠٨/١

٣- واو الجماعة:

في قوله تعالى: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[الأَنْفَالِ: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٦٠]؛ حيث اشتملت الآيات الكريمة على ضمير متصل، وهو واو الجماعة، للدلالة على جماعة المخاطبين، في إشارة يعود مرجعها إلى جماعة المؤمنين من أصحاب رسول الله. وقد لوحظ التغير الذي يطرأ على حال المخاطبين بين الخوف والإخافة، والانشغال بالدنيا والانشغال بالآخرة، وإن دلَّت تلك التقابلية على شيء، فإنما تدل على عظيم فضل الله على عباده، وعدم التسوية بين الفريقين.

أما في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأَنْفَالِ: ٣٥]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على العنصر الإشاري نفسه في صيغة الأمر، للدلالة على جماعة الكفار.[١] وفي تكرار العنصر الإشاري في ذلك المثال، وإحالته إلى المرجع نفسه، إيماء إلى العدل الإلهي، فما نزل العذاب بهم إلا لكفرهم.

وجدير بالذكر أن المرجع في أغلب العناصر الإشارية الخطابية يتعين اكتفاءً بدلالة الحضور والتلقي حال نزول الآيات.

---

(١) تفسير عبد الرزاق: ١٢٤/٢

٣- ضمائر الغائب:

١- المنفصلة:

١- هو:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الأَنْفَالِ: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾[الأَنْفَالِ: ٦٢]؛ حيث اشتملت الآيتان الكريمتان على ضمير الغائب المنفصل، للدلالة على الله ﷻ.[١] وفي نحو قوله تعالى:﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٩]، فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير مستتر جوازا مع الأفعال "يجعل"، و"يكفر"، و"يغفر" محيلا إلى الله ﷻ أيضًا.

وقد لوحظ وضع المضمر موضع المظهر لاشتهاره ووضوح أمره فضلا عن قَرِينَةِ الْمَقَامِ. وأما العدول عن استخدام ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، فقد جاء على سبيل التفنن؛ "فمن أساليب العرب في البيان أن يتحدث المتكلم عن نفسه تارة بضمير المتكلم، وتارة بضمير الغائب... ولا شك أن خطاب الله وكلامه عن نفسه هنا بصيغة الغائب، أبلغ".[٢]

أما في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٢]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير الغائب المنفصل، للدلالة على القرآن.[٣] وقد أفاد استعمال العنصر الإشاري هنا التأكيد؛ "فَهُوَ يَقْتَضِي تَقَوِّي الْخَبَرِ أَيْ: إِنْ كَانَ هَذَا حَقًّا وَمِنْ عِنْدِكَ بِلَا شَكٍّ".[٤]

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١١/٢٥٤، ٢٥٥

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها: ٣٠٤

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/١١٢

(٤) التحرير والتنوير: ٩/٣٣٢

أما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ١٩]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير الغائب المنفصل، للدلالة على التوقف عن عداوة النبي وقتاله، وقيل: ترك الشرك.[١]

وبمراجعة السياقات التي ورد فيها ضمير الغائب ظاهرًا أو مستترًا، يُلاحَظُ أن القرآن قد استعمله بدلاً من الاسم الظاهر، إما دلالة على أن مرجعه معلوم للكافة لا ينازعه أحد في الإحالة إليه، وإما طلبًا للاقتصاد والاختصار، فجاءت العبارة في غاية البلاغة التي قيل في تعريفها: إنها "الإيجاز مع الإفهام، والتصرّف من غير إضجار".[٢]

٢-هم

في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٤]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[الأَنْفَالِ: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٦]؛ حيث اشتملت الآيات الكريمة على ضمير الغائب المنفصل، للدلالة على جماعة من المؤمنين، اتصفوا بصفات خاصة.[٣]

أما في نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأَنْفَالِ: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾[الأَنْفَالِ: ٤٢]؛ فقد اشتملت الآيات

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): ٢٨/٤؛ تفسير المراغي: ١٨٣/٩

(٢)عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٩٠/١

(٣) ينظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري: ٦٠٣/١؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤٧٤/٢؛ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ١٥٦/٥

الكريمة على ضمير الغائب المنفصل، نفسه، للدلالة على مرجع آخر، هو جماعة الكفار، وهو ما انتبه له المفسرون في تأويلهم.(١)

وبمراجعة السياقات التي ورد فيها ضمير الغائبين، لوحظ أنه عادة ما يأتي مقابلاً لضمير المخاطب أو المخاطبين، في إشارة إلى أن ثمة فريقين متقابلين: الأول مُقَرَّبٌ مُكَرَّمٌ مقصودٌ بالخطاب، وهو فريق يمثله النبي وجماعة المؤمنين، وأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا. والثاني مُبْعَدٌ مُهَانٌ أشير إليه بضمير الغائب، وهو فريق تمثله جماعة الكفار والمنافقين، وأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. أما عن استعماله ضميرَ فصل، فقد أفاد أَنَّ مَا بَعْدَهُ خَبَرٌ لَا صِفَةٌ، بالإضافة إلى معنى التَّوْكِيدُ، وَإِيجَاب أَنَّ فَائِدَةَ الْمُسْنَدِ ثَابِتَةٌ لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ.(٢)

٢- المتصلة:

١- هاء الغائب:

في نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾[الأَنْفَالِ: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٦]؛ حيث اشتملت الآيات الكريمة على ضمير متصل، وهو "هاء الغيبة" للدلالة على المفرد الغائب، في إشارة يعود مرجعها إلى الله ﷻ.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٠]؛ فقد ورد العنصر الإشاري نفسه، لكن مرجعه هذه المرة أحال إلى الرسول ﷺ، ويلاحظ أن العدول عن ذكر اسم لفظ الجلالة وكذا اسم النبي صريحا إلى استعمال الضمير، كان غرضه هنا

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤٩/١١

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٦/١

التعظيم، وبيان "الْفَخَامَةُ بِشَأْنِ صَاحِبِهِ حَيْثُ يُجْعَلُ لِفَرْطِ شُهْرَتِهِ كَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ وَيَكْتَفِي عَنِ اسْمِهِ الصَّرِيحِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ".(١)

وفي نحو قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٧٣]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على ضمير متصل، مشيرا إلى جماعة اليهود في المدينة.(٢)

وقد لوحظ أن استعمال ضمائر الغائب التي تشير إلى جماعة الكفار والمنافقين، فضلا عن كونها وسيلة للاختصار والإيجاز، كانت تحمل دلالات إضافية منها التحقير، أو التقليل من شأنهم، أو اشتهار فعلهم القبيح فلا يُحتاج إلى تعيينهم.

أما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٥٣]؛ فقد جاء العنصر الإشاري، محيلا على قوم تحلوا بصفات خاصة، قد يتحصل وجودهم في أي زمان ومكان، إلا أن سياق الآيات ومقامها قد جعل بعض المفسرين، يعين هؤلاء القوم، فعَنِ السُّدِّيِّ قال: نِعْمَةُ اللَّهِ: مُحَمَّدٌ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى قُرَيْشٍ، فَكَفَرُوا وَنَقَلَهُ إِلَى الأَنْصَارِ.(٣) ومع ذلك فإن في استعمال الضمير "تَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْمِيمِ، وَهُوَ غير خاص بخلاف ما لو عُيِّنَ".(٤)

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٤/٤

(٢) تفسير مجاهد: ٣٥٧

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٧١٨/٥

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٥٩/١

٢- واو الجماعة:

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ﴾[الأَنْفَالِ: ٧٤]؛ اشتملت الآية الكريمة على الضمير نفسه متصل بالأفعال "آمن"، و"هاجر" و"جاهد"، و"آوى"، و"نصر" للدلالة على جماعة الغائبين، وقد أحال المقام إلى جماعة المهاجرين والأنصار.[١] ويلاحظ أن استعمال الضمير دون الاسم جاء بغرض المدح والتشريف، حيث أسنده إلى صفات ممدوحة، كالإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله.

أما في نحو قوله تعالى: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٠]؛ ففي المقابل فإن استعمال العنصر الإشاري هنا دون الاسم جاء بغرض التحقير والاستهجان، حيث أسنده إلى صفات مذمومة، كالمكر والخيانة والصد عن سبيل الله.

وهنا يمكننا القول إن استعمالَ الضمائر المتصلة بديلاً عن المنفصلة كان الغالب؛ ربما "لأن الغرض من وضع المضمرات إنما هو الاختصار، والمتصل أخصر من المنفصل، فلا عدول عنه إلا حيث لم يتأت الاتصال".[٢]

٣- النداء:

النداء لغة الدعاء، واصطلاحًا الدعاء بحروف مخصوصة.[٣] وهو من خواص الاسم وعلاماته، نَحْو: يَا زيد. وَإِنَّمَا اخْتصَّ بِهِ لِأَن الْمُنَادى مفعول بِهِ فِي الْمَعْنى أَو فِي

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٢/٢٢٩

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١/٩١

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٤/٢١٧٩

اللَّفْظ[١]، فهو منصوبٌ بفعلٍ مقدّرٍ لا يظهر؛ كأنّه قال: (أدعو) أو (أُخاطِبُ)؛ ولأجل هذا يجعلها بعضُهم اسما للفعل.[٢] وهو مثل كل الإشاريات، "لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه".[٣]

وباستقراء الآيات الكريمة في سورة الأنفال، لوحظ أن الأداة المستعملة للنداء هي "يا"، أما المنادى فكان معرفا بـ"ال"، لذا كان يتوصل إلى ندائه مسبوقا بـ"أي"،كما لوحظ أن مرجع النداء يختلف من خطاب إلى آخر، ففي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾[الأَنْفَالِ: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[الأَنْفَالِ: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى﴾[الأَنْفَالِ: ٧٠]؛ كان النداء بـ"يا"، والمنادى "أيها النبي"، وجملة جواب النداء "حسبك"، و"حرض"، و"قل". ولا ريب أن في ندائه بالنبي وترك ندائه باسمه كما قال: يا آدم. يا موسى، يا عيسى، يا داود؛ كرامة له وتشريفًا، وربئا بمحله وتنويها بفضله.[٤] فهو نِدَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخِطَابٌ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ وَالتَّنْبِيهِ.[٥]

أما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الأَنْفَالِ: ١٥]؛ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٤]؛ كان النداء بـ"يا"، والمنادى "أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ"، وتنوع أسلوب جملة جواب النداء فكانت تارة جملة شرطية، وأخرى

---

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٢٧/١

(٢) اللمحة في شرح الملحة: ٥٩٩/٢

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٩

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥١٨/٣

(٥) البحر المحيط في التفسير: ١٩٦/١٠

شرطية ظرفية، وأخرى إنشائية طلبية بصيغ الأمر والنهي. وقد لوحظ تكرار نداء جماعة المؤمنين في مقاطع مختلفة من السورة الكريمة، وهو من سنن العربية في مقام التذكير والوعظ،[١] كما أن تكريرَ الخطاب على الوجه المذكور لإظهار كمالِ الاعتناءِ بشأن المأمور به.[٢] بالإضافة إلى أن الآيات توجه إلى المؤمنين نداء محببًا إلى نفوسهم، محركًا لحرارة العقيدة في قلوبهم، وتوجيه عقولهم إلى ما يستدعيه الإيمان من فطنة ويقظة، ولحضهم على الاستجابة لما اشتملت عليه هذه الآيات من توجيهات سامية وإرشادات عالية، حيث نادتهم بصفة الإيمان، فإن من شأن الإيمان الحق، أن يحمل صاحبه على طاعة الله- عز وجل-.[٣]

ثانيًا: الإشاريات الزمانية:

إِذْ: مِنَ الْأَدَوَاتِ الْمُخَلِّصَةِ لِلْمُضَارِعِ إِلَى الْمَاضِي؛ لِأَنَّهَا ظَرْفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ. وهو عادة يأتي مفعولا لفعل محذوف، والتقدير يكون: واذكر –أيها المخاطب- ما حدث في هذا الزمن.

وقد ورد في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٧]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[الأَنْفَالِ: ١١]، وقد أحال العنصر الإشاري إلى وقائع مختلفة جرت في غزوة بدر الكبرى. وإلى هذا ذهبت التأويلات المختلفة[٤]، وهكذا لم يكن من الممكن تحديد مرجع العنصر الإشاري، ودلالته الزمانية بدون التعرف إلى السياق والمقام.

---

(١) تفسير المراغي: ١٢٦/٨

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣٤/٤

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم = تفسير محمد سيد طنطاوي: ٢٤٠/٢، ٤٣٢/١٤

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٠/١١؛ تفسير مجاهد: ٣٥٦

أما في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الأَنْفَالِ: ٣٠]؛ فقد أحال العنصر الإشاري إلى وقت مكر الكفار والنبي يومئذ بمكة، وذلك حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم [١]، وَالصَّحِيحُ أَنَّ التَّشَاوُرَ بِدَارِ النَّدْوَةِ كَانَ عَقِبَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.[٢]

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٢٦]، فقد أحال العنصر الإشاري إلى حال المسلمين في فجر الإسلام، يريد بذلك قلتهم إذ كانوا بمكة وذلتهم باستضعاف قريش لهم.[٣] وقال بعضهم: كان ذلك فِي يَوْمِ بَدْرٍ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ، فَآوَاهُمُ اللَّهُ وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ.[٤] ويبدو واضحًا صعوبة تعيين المرجع الزماني لهذا العنصر الإشاري المبهم إلا بمعرفة سياقه ومقامه.

وبمراجعة سياقات العنصر الإشاري، نجد أنه ورد في الغالب مضافا إلى الجملة، بغرض التذكير بنعمة الله على عباده المؤمنين.

إذا: ظرفُ زمنٍ مستقبل ويلزمُها معنى الشرطِ غالباً، ولا تكونُ إلا في الأمرِ المحقق أو المرجَّحِ وقوعُه.

وقد ورد هذا العنصر الإشاري، في قوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأَنْفَالِ: ٢]، وقد أحال العنصر الإشاري إلى وقت تعرض جماعة المؤمنين إلى آيات الله.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣١٩

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٥٤١/٩

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون: ٣٠٩/٢

(٤) تفسير عبد الرزاق: ١٢٠/٢

وفي المقابل يأتي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾[الأَنْفَالِ: ٣١]، وقد أحال العنصر الإشاري نفسه إلى وقت تعرض جماعة الكفار إلى آيات الله. وقد لوحظت المفارقة بين الزمانين وحال الفريقين؛ فإن قلوب الفريق الأول "هاجت من خشية الفراق، فخشعت الجوارح لله بالخدمة"،(١) في حين كان جواب الفريق الثاني من "فرط جهلهم، وشؤم جحدهم الذي ستر على عقولهم قبح دعاويهم في القدرة على معارضة القرآن فافتضحوا عند الامتحان بعدم البرهان، والعجز عما وصفوا به أنفسهم من الفصاحة والبيان".(٢)

اليوم: ظرف حالي، والشائع فِي اسْتِعْمَال الْيَوْم المعرّف بِاللَّامِ أَن يُرَاد بِهِ زمَان الْحَال إِذْ الِاسْم الْعَام إِذا عرّف بأداة الْعَهْد ينْصَرف إِلَى الْحَاضِر نَظِيره الْآن من آن والساعة من سَاعَة.(٣)

وقد ورد استعماله في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[الأَنْفَالِ: ٤١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ﴾[الأَنْفَالِ: ٤٨]، وقد أحال العنصر الإشاري في كلتا الآيتين الكريمتين إلى زمان وقوع غزوة بدر الكبرى بين المسلمين وكفار مكة، وقد لوحظ أنه رغم دلالته على الزمن نفسه إلا أنه جاء بصيغتين مختلفتين، فجاء ذكره في قوله تعالى حكاية عن نفسه مضافا إلى كلمة "الفرقان"، في إشارة إلى يَوْمَ بَدْرٍ، حيث فَرَّقَ الله فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وجاء ذكره ثانية في قوله تعالى حكاية عن إبليس؛ خاليًا من الإضافة.

يَوْمَئِذٍ: ظرف مضاف لظرف.

---

(١) تفسير التستري: ٧١

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري: ١/٦٢٠

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ٩٨٣

وقد ورد استعماله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾[الأَنْفَالِ: ١٦] وهو متعلق بـ"يُوَلِّهِم". وقد أحال العنصر الإشاري إلى وقت لقاء العدو أيضا. ولا ريب أن "ما كرره لحاجات كانت لهم ولفوائد تكون في التكرار؛ ليكون لهم عظة وتنبيهًا في كل وقت وكل حال، وقد يكرر الشيء ويعاد على التذكير والتنبيه".[1]

ثالثًا: الإشارات المكانية

وقد تمثلت في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأَنْفَالِ: ٢٦]، وقد أحال العنصر الإشاري المكاني "الأرض" إلى مكة قبل الهجرة، حيث كانوا مَقْهُورِينَ فِي أَرْضِ "مَكَّةَ".

وفي نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأَنْفَالِ: ٦٧]، فقد تكرر ذكر "الأرض" مع تغير مرجعها، حيث أحال العنصر الإشاري إلى أرض المعركة؛ إذ أن الإثخان: "هو المبالغةُ في القَتْل والجراحةِ"[2]، ولا يكون إلا في ساحة القتال.

وأما قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ﴾[الأَنْفَالِ: ٧٣]، فقد تكرر ذكر "الأرض" مع تغير مرجعها، حيث أحال العنصر الإشاري إلى عموم الأقطار والبلاد. وجاء في تأويله: "إن لم تكونوا بعضكم أعوانًا وأنصارًا لبعض، على ما كان أهل الكفر بعضهم أنصارا لبعض غِلبكم العدو وقهركم، فيكون في ذلك فتنة وفساد".[3]

---

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ١٨١/٧

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١٥٥/٣

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٢٧٦/٥

ولوحظ استعمال العنصر الإشاري هنا على اتساع دلالته، ومحدودية دلالة المرجع الذي يحيل عليه، بغرض بيان عظيم النعمة تارة، والمبالغة والتهويل تارة.

وفي قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ﴾[الأَنْفَالِ: ٥]؛ ورد العنصر الإشاري المكاني "البيت" مضافًا إلى كاف الخطاب، وَقَالَ بَعْضُهُمْ في تأويله: مَعْنَاهُ مِنَ الْمَدِينَةِ[١]، وقد يرجح ذلك حيث خرج منها للقتال في بدر.

أما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[الأَنْفَالِ: ٣٥]؛ فقد ورد العنصر الإشاري المكاني "البيت" مرة أخرى، لكنه أحال هذه المرة إلى الكعبة بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقَ؛ فعن ابن عباس قال: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ عُرَاةً تُصَفِرُ وَتُصَفِّقُ.[٢]

وقد لوحظ استعمال العنصر الإشاري مضافا إلى النبي ﷺ، مع استعماله مرة أخرى خاليًا من الإضافة مع كفار مكة، لتأكيد عدم استحقاقهم ولاية أمر المسجد الحرام، ونفي نسبته إليهم.

وفي نحو قوله تعالى: ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[الأَنْفَالِ: ٣١]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على اسم الإشارة "هذا"، وهو أحد المبهمات المكانية المصاحبة لإشارات التكلم، ويستعمل في الحقيقة للدلالة على القرب المكاني، إلا أن له دلالات بلاغية أخرى يكتسبها من السياق؛ فلم يكن استخدام الكفار اسم الإشارة "هذا" للإحالة إلى القرآن الكريم، وإنزاله منزلة القريب على علو منزلته وقدره، إلا لبيان استخفافهم بالآيات، والرسول المبعوث بها.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٦/١١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٦٩٦/٥

وفي نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٤]؛ فقد اشتملت الآية الكريمة على لفظة "عند"، وهي "مُسْتَعَارَةٌ لِلْقُرْبِ الِاعْتِبَارِيِّ، أُرِيدَ بِهِ تَشْرِيفُ الرُّتْبَةِ".[1]

رابعًا: الإشارات الاجتماعية:

وتتمثل في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[الأَنْفَالِ: ٣]، وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[الأَنْفَالِ: ٤١]؛ حيث استخدم الخطاب القرآني العنصر الإشاري الاجتماعي المتجسد في الضمير الدال على جماعة المتكلمين، في قوله "رزقنا" و"أنزلنا" و"أهلكنا" و"أغرقنا" للإحالة إلى لفظ الجلالة الله ﷻ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ؛ إذ يُخَاطِبُ الْعَظِيمُ بِلَفْظِهِ فَيَقُولُ فَعَلْنَا وَصَنَعْنَا.[2]

ومن الإشاريات الاجتماعية ما يحيل إلى كراهية الله لجماعة الكفار والمنافقين، وطبيعة العلاقة الاجتماعية بين الكفار بعضهم ببعض، وقد تمثل في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأَنْفَالِ: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [الأَنْفَالِ: ٧٣].

وكذلك منها ما يحيل إلى حب الله للرسول الكريم ولجماعة المسلمين، وطبيعة العلاقة الاجتماعية بين المسلمين بعضهم ببعض، وقد تمثل في نحو قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأَنْفَالِ: ٧٢].

(١) التحرير والتنوير: ٨-أ/٦٤

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ٢٣/٢٩٣

كذلك كان منها ما جاء للتحقير والتقليل، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأَنْفَالِ: ٥٥].

ومنها كذلك ما جاء على سبيل الكناية تلطفًا وتجنبًا للفحش في القول، وتمثيلا لأدب الخطاب القرآني، في نحو قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَنَّى، وَلَوْ شَاءَ لَقَالَ: أَسْتَاهَهُمْ، وَإِنَّمَا عَنَى بِأَدْبَارِهِمْ أَسْتَاهَهُمْ". وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "وَلَكِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُكَنِّي".[1]

خامسًا: الإشارات الخطابية:

ويراد بها بعض العبارات التي استخدمها الخطاب القرآني، وأسهمت في تماسك السياقات النصية واتصالها، فينتقل من سياق إلى سياق، ومن قصة إلى أخرى، ومن قول لآخر في انتظام بديع لا يخل بالوحدة الموضوعية للسورة الكريمة، وقد تمثل ذلك في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأَنْفَالِ: ٢،١]، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[الأَنْفَالِ: ٥،٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأَنْفَالِ: ١٧].

فقد اشتملت تلك الآيات الكريمة وغيرها على ألفاظ وعبارات نحو (إنما، كما، ولكن، إذ، ولو ترى إذ، كدأب، وإن... فقد) وقد أحالت إلى مراجع مختلفة، واستخدمها الخطاب القرآني للاستدراك والتعليق والإشارة إلى مواقف مختلفة دون المساس بالتماسك النصي بين آيات السورة الكريمة، ففي الآية الأولى، مثلا، وردت لفظة "إنما" لإفادة معنى الحصر، وبيان معنى الإيمان؛[2] ومثله أيضًا في قوله "كما

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣٠/١١

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ٤٥٠/١٥

أخرجك"، يعني كَذَلِكَ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ، حيث تعددت التأويلات في "ذلك" الذي شبه بإخراج النبي، [١] وكلها تأويلات لا تتعارض بل تتعاضد؛ لتؤكد تماسك النص القرآني، وثراء التراث التفسيري والبياني له. ومثله أيضا الاستدراك والرجوع مستخدما لفظة "لكن" كما في المثال الثالث، حيث "أتى الاستدراك في هذه الكلمات في موضعين كل منهما مرشح للتعطف، فان لفظة تقتلوهم وقتلهم، ورميت ورمى، تعطف. وهذا أقرب استدراك وقع في الكلام لتوسط حرفه بين لفظي التعطف في الموضعين".[٢]

الخاتمة:

بناء على هذه الدراسة النظرية التطبيقية للإشاريات في سورة الأنفال، يمكننا تأكيد القول، إن الإشاريات رموز أو علامات لسانية مبهمة لا يمكن تحديد مرجعها ودلالاتها الفرعية إلا من خلال الاستعمال والتداول، وقد لوحظ ثراء النص القرآني عمومًا بها، أما فيما يخص سورة الأنفال فكان ظهورها كالتالي:

١- تمثلت الإشاريات الشخصية الدالة على المتكلم في الضمائر المستترة منها ما كان تقديرها "أنا"، وكان مرجعها إلى الله ﷻ مرة، وأخرى أحالت إلى الشيطان الرجيم، ومنها ما كان تقديرها "نحن"، محيلاً إلى الله تعالى مرة، أخرى إلى جماعة الكافرين. كما تمثلت في الضمائر المتصلة مثل "ياء المتكلم"، محيلاً إلى الله ﷻ تارة، وإلى الشيطان تارة أخرى، و"نا المتكلمين"، وكان مرجعها إلى الله ﷻ حينًا، وإلى جماعة الكفار حينًا.

٢- تمثلت الإشاريات الشخصية الدالة على المخاطب في الضمائر المنفصلة، مثل "أنت" ظاهرًا ومستترًا، محيلاً إلى الرسول الكريم، وكذا الضمير المنفصل "أنتم" ظاهرًا،

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣٢٩/٤

(٢) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش: ٥٤٦/٣

وكان مرجعه جماعة المسلمين حينًا، وجماعة الكفار حينًا. كما تمثلت في الضمائر المتصلة نحو "تاء الخطاب" للمفرد والجمع، وتنوعت المراجع التي أحالت إليها فكانت النبي الكريم، وجماعة المسلمين، وجماعة الكفار. أما "كاف الخطاب" للمفرد والجمع، فكانت مراجعه الله، والنبي، والصحابة، والملائكة، وجماعة الكفار، وأسرى بدر من الكفار. أما "واو الجماعة"، فقد أحالت إلى جماعة المؤمنين، وجماعة الكفار.

٣- تمثلت الإشاريات الشخصية الدالة على الغائب في الضمائر المنفصلة، مثل "هو" ظاهرًا ومستترًا، محيلاً إلى الله، والقرآن، وترك الشرك. أما الضمير "هم" فقد أحال إلى جماعة المؤمنين، وجماعة الكفار. كما تمثلت في الضمائر المتصلة مثل "هاء الغائب" للمذكر والمؤنث، وتنوعت مراجعها التي أحالت إليها، فكانت (الله، الرسول، المتولي من الزحف، البيت الحرام، الشيطان، النكال والهزيمة، أموال الكفار والمنافقين)، أما "هاء الغائبين" فكانت مراجعها (جماعة المؤمنين، الأوس والخزرج، جماعة اليهود، جماعة الكفار، أسرى بدر من الكفار، جماعة المهاجرين، جماعة الأنصار، أهل العهد من مشركي العرب، قوم فرعون والأمم البائدة، الأقارب، قوم مخصوصون). أما "واو الجماعة" فقد أحالت إلى (جماعة المؤمنين، المهاجرين الأوائل، المهاجرين بعد الحديبية، جماعة الكفار، أسرى بدر من الكفار).

٤- وفيما يتعلق بالنداء، فقد استخدمت الأداة "يا" في نداء النبي، والذين آمنوا، في الوقت الذي كانت الميم عوضا عنها في نداء الله ﷻ.

٥- تمثلت الإشاريات الزمانية في (إذ، يومئذ، اليوم، الآن، قبل) وأحالت مراجعها إلى أزمنة مختلفة حددها الاستعمال والسياق.

٦- تمثلت الإشاريات المكانية في (الأرض، البيت، العدوة الدنيا، العدوة القصوى، أسفل، هذا) وتنوعت مراجعها وفق المقام والسياق.

٧- تؤدي الإشاريات الاجتماعية دورًا في تحديد العلاقة بين المتكلم والمخاطب، فأفادت دلالات متنوعة منها التعظيم، والتحقير، والتعبير عن معاني المودة والشفقة والتلطف، في مقابل معاني الكراهية والعقاب.

٨- كان للإشاريات الخطابية دور في تماسك النص، وانتقاله من خطاب إلى خطاب، ومن قصة إلى أخرى، عن طريق التشبيه، والاستدراك والرجوع، وضرب المثل.

المصادر والمراجع

ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة.

الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام، ط٦، القاهرة.

استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت.

الإشاريات الخطابية الاجتماعية. قراءة في مصنفات الزّجّاج، فلاح علي سلمان، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات، المجلد٤، العدد (٣٩)، السنة: ٢٠٢٠، واسط، العراق.

إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، ط٤، حمص، سورية.

آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجديدة، مصر، ٢٠٠٢.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المدينة المنورة، ٢٠٠٣م.

بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، تحقيق علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ط ١٤٢٠ هـ، بيروت.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، بن عجيبة الحسني، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، ط ١٤١٩هـ، القاهرة.

البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، عثمان بن طالب، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ط١٩٨٥م، تونس.

البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.

التداولية اليوم. علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشياني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، ط١، بيروت.

التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، ط١، سوريا.

التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط١، بيروت.

تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تفسير التستري، سهل التُستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، السعودية.

تفسير القرآن الحكيم (**تفسير المنار**)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠ م.

تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين بن عكاشة – محمد الكنز، الفاروق الحديثة، ط١، القاهرة، مصر.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١، بيروت.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، السعودية.

تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١.

تفسير القرآن، أبو المظفر المروزي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، ط١، الرياض.

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، مصر.

التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – باكستان.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، ط١، بيروت.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة.

تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط١، مصر.

تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ط١، بيروت.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١

الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨ هـ، بيروت.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، ٢٠٠٦ م.

روح البيان، إسماعيل حقي، دار الفكر، بيروت.

زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت.

السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، ترجمة عبد الرحمن بو علي، دار الحوار، ط١، سوريا.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت١٩٩٨م.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣ م.

غرائب التفسير وعجائب التأويل، برهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، دمشق، بيروت.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، ذهبية حمو الحاج، دار الأمل، ط٢، تيزي وزو، الجزائر.

لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، مصر.

اللمحة في شرح الملحة، ابن الصائغ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٢٤

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، ط١، الأردن.

معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط١، بيروت.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت.

المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي.

من أجل مقاربة قرائنية لديوان (غنج المجاز) لجمال ازراغيد، د. جميل حمداوي، صحيفة المثقف، شبكة المعلومات.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٩٨٦م

نسيج النص - بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت.

النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م.

الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط١.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ط١، دمشق، بيروت.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/deixis

Kaynakça / References

Afaq Jadidah Fi Al-Bahth Al-Loghawii Al-Moasir, Mahmoud Ahmed Nahlah, Dar Al-maerifah Al-jadidah, T2002, Misr.

Al'asas Fi Al-Tafsiri, Saeid Hwwa, Dar Al-Salam, T6, Al-Qahirah.

Al-Bahr Al-Madid Fi Tafsir Al-Quran Al-Majidi, Ibn Ajibah Alhasny, Tahqiq: Ahmed Al-Qurashii, T1419h, Al-Qahirah.

Al-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsiri, Abu Hayyan Al-Andalusi, Tahqiq: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Alfkr, T 1420 H, Bayrut, Lubnan.

Al-Bayan Wat-Tabyin, Emr Ibn Bahr Al-Jahiz, Dar Wa Maktabat Al-Hilal, T 1423 H, Bayrut, Lubnan.

Al-Biraghmatiyah Wa Ilm Al-Tarakib Bil-Istinad 'Iilaa 'Amthilah Earabiah, Osman Ibn Talib, Almultaqaa Aldwalii Ath-Thalith Fi Al-Lisaniaat, Al-Jamieah Al-Tuwnsiah, Markaz Al-Dirasat Wal'abhath Al-Iqtisadiah Wal-Ijtimaeiah, T1985m, Tunis.

Al-Burhan Fi Ulum Al-Quran, Badr Al-Din Az-Zarkashii, Tahqiq: Muhamad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya' Al-Kutub Al-Arabiah Isa Al-Babi Al-Halabi We Shurakah, T1, 1376 H - 1957 M.

Al-Duru Al-Masun Fi Ulum Al-Kitab Al-Maknun, Al-Samin Al-Halbi, Tahqiq: Ahmed Muhammad Al-Kharat, Dar Al-Qalm, Dimshq.

Al-Hidayah Ilaa Bulugh Alnihayah Fi Ilm Maeani Al-Quran Wa-Tafsirihi, Wa'ahkamihi, Makia Al-Qaysi, Tahqiq: Majmueat Rasayil Jamieiat Bikaliat Aldirasat Aleulya Walbahth Alealmii, Jamieat Alsharqt, T1.

Al'iishariaat Al-Khitabiya Al-Ijtimaiya. Qira'ah Fi Musannafat Az-Zjjaj, Falah Ali Salman, Majalat Lark Lil-Falsafah Wal-Lisaniyat, Al-Mojallad 4, Al-Adad (39), Al-Sanah 2020, Wasit, Iraq.

Aljawahir Alhisaan Fi Tafsir Alqurani, Abu Zayd Al-Thaalibi, Tahqiq: Muhammad Ali Mueawad, Dar 'Iihya' Alturath Alearabi, T1, 1418 H, Bayrut, Lubnan.

Al-Kashaf An Haqaiq Ghawamid Altanzil, Alzamkhishrii, Dar Alkitab Alearabii, Ta3, Bayrut, Lubnan.

Al-Kashf Wal-Bayan An Tafsir Al-Quran, Abu Ishaq Al-Thaelbi, Tahqiq: Abi Muhammad Ibn Ashur, Murajaeat Wa-Tadqiq: Nazir Alsaaedi, Dar 'Iihya' Alturath Al-Arabii, T1, Bayrut, Lubnan.

Al-Kulliyat Muejam Fi Al-Mustalahat Wal-Furuq Al-Lughawiah, Abu Al-Baqa' Al-Hanafi, Tahqiq: Eadnan Darwish - Muhamad Almisri, Muasasat Alrisalat, Bayrut.

Al-Lamhah Fi Sharah Al-Mulhah, Ibn Al-Saayigh, Tahqiq: Ibrahim Ibn Salim Al-Saeidi, Imadat Al-Bahth Al-Ilmii Bil-Jamieah Al-Islamiyah, T1, Al-Madinah Al-Munawrah, Al-Saudia.

Al-Muharar Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Eazizi, Bin Eatiat Al'andilsi, Tahqyq: Abd Al-Salam Abd Al-Shafi Muhammad, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, T1, Bayrut.

Al-Muqarabat Al-Tadawuliah, Faranswaz 'Arminku, Tarjamat Saeid Eulwsh, Markaz Al'iinma' Alqawmi. Min Ajli Muqarabah Qarayiniah Li-Diwan (Ghnuj Al-Majaza) Li-Jimal Azraghid, Jamil Hamadawy, Sahifat Al-Mathqf, Shabakat Al-Maelumat.

Al-Mustalahat Al'asasiah Fi Lisaniyat Al-Nas Wa-Tahlil Al-Khitab, Numan Buwqrah, Alam Al-Kutub Al-Hadithi, Jadar Lilkitab Alealami, T1, Al-Urdun.

Al-Nass Wal-Siyaq Istiqsa' Al-Bahth Fi Al-Khitab Al-Dilalii Wal-Tadawuli, Fa'iina Dayk, Tarjamat Abd Alqadir Qanini, 'Afriqia Al-Sharaq, T2000m.

Al-Siymiayiyaat Awa Nazariat Al-Alamat, Jyrar Dualu Dali, Tarjamat Abd Alrahman Bu Ali, Dar Al-Hiwar, T1, Syria.

Al-Tadawliah, Jurj Yual, Tarjamat Qasi Aleitabi, Al-Daar Al-Arabiah Lil-ulum, Nashirun, T1, Bayrut, Lubnan.

Al-Tadawuliah Al-Yawm. Ilm Jadid Fi Al-Tawasul, An Rubul, Jak Mushlar, Tarjamat Sayf Al-Diyn Daghfus Wa Muhammad Al-Shiyaniu, Al-Munazamah Al-Arabiah Lil-Tarjimah, Dar Al-Talieah, Ta1, Bayrut, Lubnan.

Al-Tadawuliah Min Ustin ilaa Ghufman, Filib Bilanshih, Tarjamat Sabir Al-Hibaashati, Dar Al-Huar, T1, Syria.

Al-Tafsir Al-Muzhari, , Muhamad Thanau Allah, Tahqiq: Ghulam Nabi Al-Tunusy, Maktabat Al-Rshdyah – Al-Bakistan.

Al-Tafsir Al-Wasit Lil-Quran Al-Karimi, Muhammad Syed Tantawi, Dar Nahdat Misr, T1, Al-Fajjalah, Al-Qahirah.

Al-Tahrir Wa-Al-Tanwir, Al-Tahir Ibn Ashur, Al-Daar Al-Tuwnisiah Lil-Nashr, Ta1984 H, Tuns.

Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Eaziz, Abu Al-Hasan Alwahidi, Tahqiq: Safwan Dawudi, Dar Alqalima, Al-Daaru Al-Shaamiah, T1, Dimashq, Bayrut, Lubnan.

Al-Wasit Fi Tafsir Al-Quran Al-Majid, Abu Al-Hasan Alwahidi, Tahqiq Wataeliq: Alshaykh Eadil 'Ahmad Abd Almawjud Wakharuna, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, T1, Bayrut, Lubnan.

Anwar Al-Tanzil Wa Asrar Al-Tawili, Nasr Al-Din Al-Baydawi, Tahqiq: Muhammad Abd Alrahman Almreshly, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, T1, Bayrut.

Arus Al'afrah Fi Sharah Talkhis Almufataahi, Baha Al-Din Al-Sobki, Tahqiq: Abd Alhamid Hindawi, Almaktabat Aleisriat Liltabaeat Walnashri, T1, 1423 Ha - 2003 Mi, Bayrut, Lubnan.

Aysar Al-Tafasir Likalam Al-Ealii Al-Kabiri, Abu Bakr Al-jazayri, Maktabat Al-ulum Wal-Hikam, T5, 1424ha/2003ma, Al-Madinah Al-Munawrah, Al-Saudia.

Bahr Al-Ulum, Abu Al-Layth Al-Smrqndy, Tahqiq: Ali Muhamad Eawda, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, Bayrut, Lubnan.

Daeawaa Altaaeinin Fi Al-Quran Al-Karim Fi Al-Qarn Al-Rabie Ashr Al-Hijrii Wal-Rad Alayha, Abd Almuhasin Ibn Zabn Ibn Mutaeib Al-Matiri, Dar Al-Bashayir Al'iislamiah, T1, 1427 H - 2006 M, Bayrut, Lubnan.

Fath Al-Qadir, Muhamad Ibn Ali Al-Shawkany, Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalim Altiyib, Ta1, Bayrut, Lubnan.

Gharayib Al-Quran Wa-Raghayib Al-Furqani, Nizam Al-Din Al-Naysabory, Tahqiq: Zakaria Umairat, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, T1, Bayrut, Lubnan.

Gharayib Al-Tafsir Wa-Ajayib Al-Taawili, Burhan Al-Din Al-Kurmani, Dar Al-Qiblah Lil-Thaqafah Al'iislamiat - Jidah, Muasasat Eulum Alqurani, Bayrut, Lubnan.

Hamul Hawame Fi Sharah Jame Ul Jawame, Jalal Al-Din Al-Suyuti, Tahqiq: Abd Al-Hamid Hindawi, Al-Maktabah Al-Twfyqyah, Misr.

I'rabul Quran Wa-Bayanuh, Muhyi Al-Din Darwish, Dar Al'iirshad, T4, Homs, Syria.

Irtishaf Ad-Ḍarab Min Lisan Al-'Arab, Abu Hayyan Al-Andalusi, Tahqiq: Rajab Osman, Murajieat: Ramadan Abd Al-Tawab, Maktabat Al-Khanji, T1, Al-Qahirah.

Istratijyaat Al-Khitab Muqarabah Loghawiah Tadawliah, Abd Al-Hadi Ibn Zafir Al-shahrii, Dar Al-Kitab Al-Jadid, T1, Bayrut, Lubnan.

Latayif Al'iisharat = Tafsir Alqushayrii, Abd Alkarim Bin Huwazin Alqushayiri, Tahqiq: Iibrahim Al-Basyony Al Hayah Al Misriyah Al Ammah Lil Kitab, T3, Misr.

Lisaniat Al-Talffuz Wa-Tadawuliaat Al-Khitab, Dhahabiat Hamuw Al-Haji, Dar Al'aml, T2, Tayzi Wazu, Faransa.

Mabahith Fi Ulum Al-Quran, Subhi Al-Salih, Dar Al-Ilm Lil-Malayyn, T24

Maealim Al-Tanzil Fi Tafsir Al-Quran = Tafsir Al-Baghwi, Tahqiq: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Dar 'Iihya' Alturath Alearabi, T1, Bayrut, Lubnan.

Maeani Al-Quran Wa-Ierabuhu, Abu Ishaq Al-Zijaj, Tahqiq: Abd Al-Jalil Shalabi, Alam Alkatb, T1, Bayrut, Lubnan.

Mafatih Al-Ghayb = Al-Tafsir Alkabiru, Fakhar Al-Din Al-Raazi, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, T3, Bayrut, Lubnan.

Minhaj Albulgha' Wa-Siraj Al'udbaa, Hazim Alqartajni, Taqdim Wa-Tahqiq Muhamad Alhabib Ibn Al-Khujah, Dar Al-Gharb Al'iislami, T3, 1986mi, Bayrut, Lubnan.

Moejam Maqayis Al-Lughah, Ahmad Ibn Faris, Tahqiq: Abd Alsalam Harun, Dar Alfikr, T: 1399h - 1979m.

Nasij Al-Nas - Bahth Fi Ma Yakun Bih Almalfuz Nassan, Al'azhar Alzunadu, Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi, Bayrut, Lubnan.

Ruh Al-Bayan, Ismaeil Haqi, Dar Alfikr, Bayrut, Lubnan.

Sharah Al-Ashmuni Alaa Alfiat Ibn Malik, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, Ta1, 1419h- 1998m, Bayrut, Lubnan

Tafsir Abd Al-Razzaq, Abd Al-Razzaq Ibn Humam Al-Saneani, Dirasah Wa Tahqiq: Mahmud Muhammad Abduh, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, T1, Bayrut, Lubnan.

Tafsir Abi Al-Sueud = Irshad Al-Aql Al-Salim Ilaa Mazaya Al-Kitab Al-Karim, Abu Al-Sueud Al-Imadi, Dar 'Iihya' Al-Turath Al-Arabi, Bayrut, Lubnan.

Tafsir Al-Maraghi, Ahmad Ibn Mustafaa Al-Maraghi, Sharikat Maktabat Wa-Matbaeat Mustafaa Al-Babi Alhulbiu Wa'awladih, T1, Misr.

Tafsir Al-Maturidi (T'awilat Ahl Al-Sunnah), Abu Mansur Al-Maturidi, Tahqiq: Majdi Baslum, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, T1, Bayrut, Lubnan.

Tafsir Al-Nasfii (Madarik Al-Tanzil Wa-Haqaiq Al-Taawila), Abu Al-Barakat Al-Nasfii, Haqaqahu Wakharaj 'Ahadithahu: Yusif Ali Bidiawi, Rajieuh Wa Qadam Lahu: Muhyi Al-Din Diba, Dar Al-Kalim Al-Tayib, T1, Bayrut, Lubnan.

Tafsir Al--Quran Al-Azim, Ibn Abi Hatim, Tahqiq: Asaad Al-Tayib, Maktabat Nizar Mustafaa Albaz, T3, Al-Saudia.

Tafsir Al-Quran Al-Azim, Ibn Kathir, Tahqiq: Muhammad Husain, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, Manshurat Muhamad Ali Baidun, T1, Bayrut, Lubnan.

Tafsir Al-Quran Al-Azizi, Ibn Abi Zamanin, Tahqiq: Husain Ibn Ukashah - Muhammad Al-Kanz, Al-Faruq Al-Hadithah, Ta1, Al-Qahirah, Misr.

Tafsir Al-Quran Al-Hakim (Tafsir Al-Manar), Muhammad Rashid Reda, Alhayyat Almisriat Aleamat Lilkitab, T 1990 Ma, Al-Qahirah.

Tafsir Alquran Min Aljamie, Ibn Whb, Tahqiq: Myklwsh Murani, Dar Al-Gharb Al'iislami, T1.

Tafsir Al-Quran, Abu Al-Muzaffar Al-Murawzi, Tahqiq: Yasir Ibn Ibrahim Wa-Ghanim Ibn Abbas, Dar Al-Watan, T1, Al-Saudia

Tafsir Al-Tabrii = Jamie Al-Bayan Ean Tawil Ay Al-Quran, Muhammad Ibn Jarir Al-Tabri, Tahqiq: Abd Allah Ibn Abd Almuhsin Altrky, Dar Hajr, T1, Al-Saudia.

Tafsir Al-Tusturi, Sahl Al-Tustury, Jameha: Abu Bakr Muhamad Al-Bldy, Tahqiq: Muhamad Basil Uyun Al-Suod, Manshurat Muhamad Ali Bidun, Dar Al Kutub Al Ilmiyah, T1, Bayrut, Lubnan.

Tafsir Mujahid, Mujahid Ibn Jabr, Tahqiq: Muhamad Abd Al-Salam, Dar Al-Fikr Al'iislamii Al-Hadithah, T1, Misr.

Tafsir Muqatil Ibn Sulayman, Tahqiq: Abd Allah Mahmud Shihatah, Dar Ihya' Al-Turath, T1, Bayrut, Lubnan.

Tahzib Al-Lughah, Muhamad Ibn Ahmad Ibn Al-Azhari Al-Harawi, Tahqiq: Muhamad Eiwad Mareab, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, T1, Bayrut, Lubnan.

Taysir Al-Karim Al-Rahmin Fi Tafsir Kalam Al-Mannan, Abd Alrahmn Ibn Nasir Al-Saadi, Tahqiq: Abd Alrahman Ibn Malla Allu-Wayhiq, Muasasat Al-Risalah, T1

Zad Al-Masir Fi Ilm Al-Tafsiri, Abu Al-Farj Ibn Al-Jawzy, Tahqiq: Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Dar Al-Kitab Al-Arabi, T1, Bayrut, Lubnan.